جمهورية الغابة

احمد عمر

كانت الغابة أشجارًا كثيفة وأنهارًا لطيفة، وجمهورية، ولم يكن فيها ملك ووزراء وقلاع وفيلة وأحصنة..

«ملك الغابة» كذبة افتراها الإنسان. ليس في حكايات الآباء والأمهات والأجداد للأولاد قبل النوم، وإنما بعد الاستيقاظ منه. وذلك أنّ الإنسان طمع في كنوز الغابة، خشيًا فوق الأرض للحرق، وذهبًا تحت الأرض للسرقة، وماءً وحيوانات في الاقتناص للتفاخر أو التحنيط في غرف الاستقبال، فنوى غزو الغابة واحتلالها، فهجم عليها بآلاته المتوحشة، فثارت نخوة الحيوان غيرةً على وطنه، فدافع عنها، فتأخّر الإنسان وتقهقر، وفكّر في حيلةٍ واستدبر، فنظر إلى الحيوانات وتفكّر في أمرها، فوقع اختياره على الأسد مطيةً لحيلته وطول فتيله، وكان سبب ذلك فخره وتيهه، فاصطاد واحدًا وحبسه في زنزانة شهرًا، لا يرى فيها شمسًا ولا قمرًا، حتى ضاع منه التاريخ بعد الجغرافيا، ولم يعد يعرف أهو صاحب اليافوخ أم قردٌ ممسوخ. وتمنّى لو كان أسدًا في سيرك يؤدّي نمرته وثبًا في حلقة النار، ويأكل أكلًا طيبًا، ويستمتع بمشاهدة الناس وهي تضحك منه، ويعود بعد انتهاء النمرة إلى زنزانته. استغرب الأسد أن أسريه يقدّمون له الكثير من الماء والنبات، وهو حيوانٌ من آكلة اللحم، ولا يأكل الفاكهة سوى بعد الطعام مع الشاي، واستيقظ يومًا فوجد نفسه حليق اللبدة عاري البدن، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، اقتاده ضبعان، فمثل أمام الإنسان في غرفة التحقيق، رحّب به المحقق متهلّلًا: أهلًا بك، يا ملك الغابة. فقال الأسد وهو يستر عورته: أستغفر الله، إنما أنا واحدٌ من سكان الغابة ولست ملكًا.

قال له الإنسان: يا لك من ملك زاهد، لكن الحقائق تقول إنك أقوى حيوانٍ في الغابة.

قال الأسد الأسير: النمر أقوى مني، والزرافة أطول مني، والجاموس يقهرني مرّة وأغلبه مرّة، والنملة أقوى من الجميع، والبلبل أكثر حريةً من كل مواطني جمهورية الغابة.

تابع الإنسان كيده: لك لبدة ملكية حول عنقك مثل تيجان الملوك.

قال الأسد: وحلقتم لحيتي وجعلتموني مهرّجا.

قال الإنسان: سينمو لك تاجٌ جديد، ولا تنس أن من صفات الملكية زئيرك القوي، وله دويّ، ويصل إلى ثمانية فراسخ.

قال الأسد: للتيس لحية، وللخنزير أيضا، أما قوة الصوت، فالقرد العوّاء أعلى مني صوتًا، وصوت حشرة الزيز يصل إلى عشرة فراسخ.

ملّ الإنسان وقال: لا أريد مزيدًا من الجدال، لقد وقع اختياري عليك، يا بطل الأبطال، وقرّرت جعلك ملكًا. كان جائعا فقبل الصفقة، فقدّموا له طعامًا ملكيًا، فأكل وشبع وزوّجه الإنسان كلبة من غير مهر ولا صداق، وفي شهر نمت له لبدة. قال الإنسان للأسد: يا جلالة ملك الغابة المعظم، لكل ملك مملكة، ولكل مملكةٍ علم ونشيد وطني وحدود، وعرين الأسد يحدّد ببوله، حتى إذا شمّه معتدٍ أثيم نفّر وهرب.

قال الملك الأسد، وهو ينظر إلى خريطة مملكته الواسعة: فمن أين لي ببولٍ أحيط به هذه الغابة الكبيرة؟

قال الإنسان: لقد صنعنا في مخابرنا بولا مثل بولك، وبللنا به حدود الغابة وتخومها، لم نترك بقعةً إلا وغسلناها ببولكم العطر. أما النشيد الوطني، فليس أرخص من كلمات الوطن، ولدينا شعراء وملحنون وخطباء.

خرج الأسد متوّجًا، مصحوبًا بحرسٍ ملكي ومع زوجته الكلبة السلوقية، وكان رأيه أن الملك الحقيقي ليس له حرس. الجبان هو الذي يخرج مع حرس وحاشية، الملك الحقيقي حاشيته الهيبة، وحرسه الجلالة. ومشى على سجادة حمراء، فوجد رائحة بوله في كل مكان، ولاحظ أن الغابة قد فسد ماؤها ومرعاها، فحزن كثيرًا، وغار على وطنه. وسأل الحيوانات عمن ارتكب هذه الجريمة، فأبرزوا له مرسومًا ملكيًا موقعًا منه بإجازة الجريمة، ووجد كلابًا برّية ودّنانًا وضباعًا وغربانًا تصطاد الحيوانات الهاربة من الغابة بتهمة خيانة الوطن.

ترقيع الثورات المضادّة وتطريزها

عبد الحكيم حيدر

مرّت سنواتٌ تقترب من ثمانٍ، تشابهت فيها الشعارات وتناسخت وتناسلت، من ليبيا إلى تونس إلى مصر إلى السودان إلى اليمن إلى سورية، نعيش جميعا في كوابيس متشابهة، ودساتير تكتب تحت السلاح، ثم تداس أو يتم تغييرها، وكلنا في انتظار حياةٍ مؤجّلة، ودساتير مؤجّلة وديمقراطية تم خنقها وثورات تم قتلها، كي تتم الموافقة جبرا على بدائل الثورة، بثورةٍ مضادّة من صنعهم، من الألف إلى الياء، لأننا ما زلنا لا نعرف أسرار الحكم كما كنا نتصوّر كمدنيين، لأن نظرتنا قاصرة كما قالوا، والجيوش هي التي ترى أكثر. سنوات ثمان، والأيام متشابهة، والأمال متوقفة، والأسلحة فقط لم ينم لها أي سوقٍ على الإطلاق، وعلى المواطنين انتظار النتائج، لأن الجنرال هو الذي يعرف أكثر ويرى أكثر، وله الحق أن "يحدث انقلابا تجريبيا"، من أسبوعين، كما فعل عبد الفتاح البرهان، ثم يؤكّده بالثاني بعد أكثر من أسبوع، بات للانقلابات صدر وعجيزة، وكله في الوقت المعلوم.

باتت الانقلابات العمل السياسي الوحيد والمتاح خلال هذه السنوات، وعلى المعترض الذهاب إلى البحر، أو يبحث له عن بلد آخر أو "بدينا عرض قفاه". على المواطن أن يتوجه إلى الصندوق كي يدلي بصوته، وصوتُه في يد أمينة، فقط نحن نغير الدستور ولا نظلم صوته، وإنْ لم يعجبنا الدستور أو "الوثيقة"، فالانقلاب جاهزٌ في الليل أو "في الدرج"، أشياء عجيبة تتم في عالمنا العربي والعالم من بعيد يشاهد ويضحك منتظرا كامل صيده "انقلاب أول قطعة وقطعة ثانية، وتعالوا نتفق على حل الأزمة"، ولا حل للأزمة إلى أزمة. سوى بالسمع والطاعة لكل ما يريده العسكر. ففي يد العسكر غلق موانئ بورتسودان متى شاءوا، ثم فتحها بلا عنت أيضا. وتلك هي السياسة المتاحة لبلاد، وإن جاع الملايين في الخرطوم، وصارت الشوارع بلا خبز، أو أغلق البلطجية وعيال الفنادق فنادق مصر وهاجموا المقيمين، ثم يعود الهدوء، والبواخر تعود ولا ترى أطفال الشوارع، والبلطجية يتركون الميدان للجيش، ولا يبقى هناك سوى «ماسحي الأحذية» في فتحات الميترو. نعيش أياما متشابهة في الحيل واللف والدوران وأحكام القضاء وتحاليل المحامين والاعتقالات وسحب جوازات السفر من المعارضين وسحب الجنسيات، كما حدث للرئيس التونسي السابق منصف المرزوقي، وكما حدث في مصر وكما سيحدث في السودان أو ليبيا أو أي بلد عربي آخر. نحن أمام سيناريوهات متشابهة إلى حد كبير، وأحمد أبو الغيط يذهب بوفد للتهدئة، والوفد لا يقول أي جديد. مسرحيات باردة متشابهة، وطبخات بايتة ويملك الطباخون التبجّح أمام الكاميرات بدساسة وستوريتها، وكلنا نتفرّج. وصاحب الدبابة يشغّل القاضي والإعلامي والحزب المغلق تحت اسم الوطن أو الأمة، مكيدة لسحب جواز السفر أو الجنسية من الخصوم، أو ضم أموالهم إلى خزينة الدولة أو سجنهم في سجون مليئة بالبط والحمام، ويغنّي لها المطربون بألحان جميلة تشبه "تسلم الأيادي"، والكل جالس ينتظر في بيته النهاية "الملحن وأستاذ الجامعة والكاتب والحزب والمفكر والمترجم والممثل والسينما والمسرح"، كل الناس تنتظر رمضان ومسلسلاته، أو قوانين قيس سعيّد، أو تغيير الدستور في مصر كي يتماشى مع مستجدّات العصر، أو قرارات أقرّها البرهان وما زالت في الدرج، بعد ما "فركش" الشريك الدستوري المدني وأودع الوزراء في السجن، وكل يوم يخرج ما يشاء، ويفاوض على تمام الاستسلام التام. والمجلس النيابي الليبي هناك يأخذ المشورة القانونية من مصر والجنرال حفتر مع السلاح وسيف الإسلام يتأهب للرئاسة، والبرهان يتكلم عن تجاوز الأزمة ولا يتجاوز "الباريه"، وقيس سعيّد هناك يلقي الخطب، بعد ما أمتلأ قصر قرطاج بالسلام والحمام وفصوص الحمر.

تفطن باريس للأعيب البرهان فتهدّد بإعادة الديون على السودان. يلبس أبو الغيط البدلة ويذهب إلى البرهان، كي يذكره بالمخاطر "مخاطر الفلوس"، فالفلوس مهمة في القوة الناعمة المتوحّشة التي تفتك بالعقل الجمعي العربي، وتعمل بمثابة الخنجر المسموم الذي يعطّل الوعي، ويشوّه العقول، ويزيّن له تلك المسوخ التي يفرض سلاحه على عقيدتها، ويُلزمها بقراراته وتوجهاته. ويعود الفضل بذلك إلى استثنائية لبنان نفسه: طائفية نظامه الطائفي، ومحوره المحرّك الذي جعل الطوائف كيانات سياسية متناحرة، على حصص وامتيازات وأدوار، فكانت الطبيعة التي نشأ عليها السياسيون اللبنانيون، فجعلتهم سينكيين، أصحاب «برامج» تتراوح بين أولوية عروشهم الصغيرة والتصدّي لافتتان آخرين بفُتات هذه العروش، وأحيانًا بالعروش كلها.. وهي شهوة تعشّقت بالفساد، أصّلته، وبنت بعواطفه جبالا من الزبائنية التاريخية، تضرب جذورها في عمق بنيان الدولة نفسها. أبدع حزب الله بالتكتّف مع نظام هذه الدولة، وأرسى معادلة سرعان ما «تطورت». في البدء قال لشركائه الضعاف: لكم مال الدولة، ولي سلاح المقاومة. ومع الوقت، عندما تجذّدت «معاركه» مع إسرائيل، وأصبحت لها «قواعد اشتباك» وضع كل سلاحه بخدمة فرض سطوته الكاملة على اللبنانيين، وخضاعة إرادات المطالبة بنزع هذا السلاح.. فانقضّ حزب الله على ما تبقى من الدولة، وصار هو الذي يتخذ قراراتها، ولو خلف خطاب، ولكن، كله بلباس «المؤسسات». وهي لعبةٌ تقوم على إخفاء المليشيا الحاكمة خلف مؤسساتٍ رسمية، خرقتها وأخضعتها، وقالت هي الدولة التي اقترفت كذا وكيت من الجنايات، وليس نحن.

وسبحنا هكذا لسنوات، في بحر الجمهورية صاحبة الادّعاء بأن لديها برلمانا ومجلس وزراء ورئاسة جمهورية؛ يهاجمهم الحزب عندما لا يرضى عنهم، يضغط عليهم أو يزيحهم، فيتسحبون أو يستقيلون، أو يستمرّون باجنحة متكسّرة. كم من الرجال احترقوا بهذه النار، أو أحرقوا خصومهم بها؟ عشرات السنوات، وبقي وجه حسن نصر الله الأبدي، من تحت الأرض، خلف الشاشة، حراً طليقاً.. يرفع صوته وإصبعه، يطلق القرار التالي، الذي على الدولة تنفيذه .. إلخ.

يعني: «حزب» الله يقرّر، يشلّ، يعطّل، يختار، يصعّد، يُنزل، يطّعن، يقتل، يخنق، يسفّر، يحرّك، يغطّي على المهرّبين والمجرمين، يخرق القانون الدستور والحدود .. ولكن من يحاسبه على هذه المعاصي؟ هذا أو ذاك من الرجال، أو تلك المؤسسة، أو ذاك الرئيس، أو الموظف، أو القاضي؟ نوعية عبقرية من الحكم، عمقها ديكتاتوري، وواجهتها «ديموقراطية برلمانية». تأخذ البلاد إلى المهالك، فيما غيرُه يحاسب عليها: الدولة هي ستارة حزب الله، تخدم مخططاته، وهي، في الوقت نفسه، قميص عثمانه.

كنا في هذه الحالة عندما دهمتنا قنبلة جورج قرداحي ومقاطعة دول الخليج لنا. وكانت الحكومة قبلها معطّلة على أثر قنبلة أخرى، هي التهديد العلني والصريح، بأن لا جلسة بعد اليوم إن "يُقنَع" الحقّ العدلي في انفجار المرفأ، طارق البيطار. وذلك بأمر مباشر من حسن نصر الله، في خطبة الثلاث الأخيرة. إذن، هذه الأزمة المزدوجة لا تهزّ حزب الله وقيادته بأي عصا. الحزب أقوى وأقوى الآن، يرفع نبرته، يطلق العنان لإعلامه ولمختلف «الشخصيات» الموالية له. فيما الوزارة مستمرّة بتعطيلها، ورئيسها يستجدي العون من الأميركيين والفرنسيين، على أساس أنهما اللذان دعماه في تعيينه رئيساً. هو صاحب «تدوير الزوايا»، أي الخضوع لمشيئة حزب الله، الذي لم يترك تنازلا "رسمياً" إلا وقدّمه مقابل أن يأتي إلى هذا المنصب الأرفع. هو "رجلهم" عند السنّة، الذي شكل حكومته بإملاءاتٍ مباشرةٍ وغير مباشرة من الحزب. هذا الرجل مرتبك الآن. بلغ لحظة الحقيقة، ومهّد بتعطيل دوره، أو استقالته أو «استنكافه»، ومعه مؤسسة رئاسة الوزراء، ومعه كل البلاد (هذا إذا توخّى المرء "عملاً" من الوزارات ...).

وكان حزب الله يرفع أمامه مقابضة: القرداحي مقابل البيطار. علماً أن الأزمة مع العربية السعودية انجرفت إلى ما وراء قرداحي و«تصريحه» الساذج. الآن، كيف يكون «الحل»؟ لو وُجدت إرادة له؟ فيما المعروف أن تصريح قرداحي هو من قلب «الأيديولوجيا» الممانعة؟ هل تعود الحكومة إلى الانعقاد كان شيئاً لم يكن؟ وكان قرداحي وحده يفكّر بأن الحوثيين هم من «المقاومين»؟ وكأن أية حكومة جديدة ستتشكل من أحرار؟ وكان مجلس الوزراء يستطيع الاستمرار بالافتراض أن له دورا وهو صاحب القرار؟ أم يأخذ حزب الله بمقابض الدولة ومؤسساتها صراحةً، من دون واجهات، ويعلن حكمه «الرسمي» لبنان؟ فتكون المعركة مكشوفة؟

وخلف هذا الابتزاز، وبعد رئيس الحكومة الضائع، هناك رئيس جمهورية يمقّمِع، ورئيس مجلس النوّاب بنّاور، بلا أرانب. هذه المرّة .. وخذْ على حكم وقرارات «وطنية» .. من دون أن يتخلى حزب الله قيد أنملة عن ممارساته الميليشياوية: مثل أي مرّة أرغم أصواتا من بيئته على تسجيل فيديوهات الطاعة الكاملة له. أرغم الحزب رئيس لجنة أهالي ضحايا انفجار المرفأ، إبراهيم حطيط، على تسجيل فيديو الهجاء ضد طارق البيطار، هو الذي كان يقود تظاهرات الدعم له، ويردّ على التهديدات بالقتل من دون خوف، فصار «منشقّاً». الآن عن لجنة الأهالي هذه التي شارك في تأسيسها، يقود تظاهرات النقيض، المعادية لها وللبيطار.

فوق الابتزاز، يطلق الحزب العنان لعنصرية لبنانية ضد أهل الخليج. عنصرية متسلّحة بفوقية من اتصل باكراً بالغرب، وتخلى عن هندامه وطرق عيشه «البدائية»، معطوفة على تقاليد يسارية غابرة، يوم كانت السعودية على رأس القطب المعادي لجمال عبد الناصر. تقاليد مفيدة للبروباغندا المعادية للسعودية؛ من دون الانتباه إلى تلازم صريح بين «العرب» وأولئك السعوديين أصحاب «الحفّة والعقال» (بحسب أحد كتابهم). يزايد في «حرية التعبير» وفي «السيادة الوطنية» بوجه السعودية، فيما هو غارقٌ في التبعية والقمع السافر والمبطن. كل هذه الصافعة تراقفها حملة تظلّم متيرة للشفقة: من أن حزب الله يتعرّض لهجوم أثم منظّم، من أن الأعداء يحاصرونه، من أن هؤلاء الأعداء هم أصدقاء إسرائيل الجدد، من أنه ما زال وفياً للقدس. والدموع تُنهمر، فنعود إلى مرحلة الحروموسة الشعبية، وإلى ما قبلها .. كربلاء وسيدنا حسين المظلوم.

كل هذا لا يهوّن على لبنان خروجه من محنته. الأزمة مع السعودية لم تثر مسألة حزب الله وحده، مع أنها محورها ومعضلتها، إنما استعادت مسألة في غاية الراهنية: هل ينهض من نكبتنا؟ وكيف؟ كيف نُعود ونُرزق؟ ما هي مواردنا؟ هل نصنع، أم نتاجر، أم نزرع، أم نتوسّط، أم ندخر، أم نصدّر أبناءنا إلى المهجر؟ ومعها أسئلة لا تقلّ إلحاحاً: كيف سنحلّ مشكلتنا مع السعودية؟ كيف نبطئ نزولنا إلى الجحيم؟ كيف نُبقي قنواتنا شغالة مع العالم؟ كيف ننقذ مئات الآلاف من العودة إلى جحيمنا، بعدما هربوا منها، وبأثمان باهظة؟

(كاتبة لبنانية)

حزب الله وحكم الذي لا يحكم

دلال البزري

لبنان، العريق بأصناف شاذّة من الحكم، بأخلاقيات سياسية هجينة. لبنان هذا، الذي توالت على ربوعه أشكال عجيبة من الحكم، لم يعرف، ولا عرف نظراؤه العرب، «حكما» شبيها بذلك الذي يمارسه حزب الله الآن: حكم بلا حكم، يتصدّره خزيجٌ الحوزات، حكم التقية والحساسة، حكم المظلومية والتجبّر، حكم الصوت الجهوري وتيهه، فاصطاد واحدًا وحبسه في زنزانة شهرًا، لا يرى فيها شمسًا ولا قمرًا، حتى ضاع منه التاريخ بعد الجغرافيا، ولم يعد يعرف أهو صاحب اليافوخ أم قردٌ ممسوخ. وتمنّى لو كان أسدًا في سيرك يؤدّي نمرته وثبًا في حلقة النار، ويأكل أكلًا طيبًا، ويستمتع بمشاهدة الناس وهي تضحك منه، ويعود بعد انتهاء النمرة إلى زنزانته. استغرب الأسد أن أسريه يقدّمون له الكثير من الماء والنبات، وهو حيوانٌ من آكلة اللحم، ولا يأكل الفاكهة سوى بعد الطعام مع الشاي، واستيقظ يومًا فوجد نفسه حليق اللبدة عاري البدن، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، اقتاده ضبعان، فمثل أمام الإنسان في غرفة التحقيق، رحّب به المحقق متهلّلًا: أهلًا بك، يا ملك الغابة. فقال الأسد وهو يستر عورته: أستغفر الله، إنما أنا واحدٌ من سكان الغابة ولست ملكًا.

قال له الإنسان: يا لك من ملك زاهد، لكن الحقائق تقول إنك أقوى حيوانٍ في الغابة.

قال الأسد الأسير: النمر أقوى مني، والزرافة أطول مني، والجاموس يقهرني مرّة وأغلبه مرّة، والنملة أقوى من الجميع، والبلبل أكثر حريةً من كل مواطني جمهورية الغابة.

تابع الإنسان كيده: لك لبدة ملكية حول عنقك مثل تيجان الملوك.

قال الأسد: وحلقتم لحيتي وجعلتموني مهرّجا.

قال الإنسان: سينمو لك تاجٌ جديد، ولا تنس أن من صفات الملكية زئيرك القوي، وله دويّ، ويصل إلى ثمانية فراسخ.

قال الأسد: للتيس لحية، وللخنزير أيضا، أما قوة الصوت، فالقرد العوّاء أعلى مني صوتًا، وصوت حشرة الزيز يصل إلى عشرة فراسخ.

ملّ الإنسان وقال: لا أريد مزيدًا من الجدال، لقد وقع اختياري عليك، يا بطل الأبطال، وقرّرت جعلك ملكًا. كان جائعا فقبل الصفقة، فقدّموا له طعامًا ملكيًا، فأكل وشبع وزوّجه الإنسان كلبة من غير مهر ولا صداق، وفي شهر نمت له لبدة. قال الإنسان للأسد: يا جلالة ملك الغابة المعظم، لكل ملك مملكة، ولكل مملكةٍ علم ونشيد وطني وحدود، وعرين الأسد يحدّد ببوله، حتى إذا شمّه معتدٍ أثيم نفّر وهرب.

قال الملك الأسد، وهو ينظر إلى خريطة مملكته الواسعة: فمن أين لي ببولٍ أحيط به هذه الغابة الكبيرة؟

قال الإنسان: لقد صنعنا في مخابرنا بولا مثل بولك، وبللنا به حدود الغابة وتخومها، لم نترك بقعةً إلا وغسلناها ببولكم العطر. أما النشيد الوطني، فليس أرخص من كلمات الوطن، ولدينا شعراء وملحنون وخطباء.

خرج الأسد متوّجًا، مصحوبًا بحرسٍ ملكي ومع زوجته الكلبة السلوقية، وكان رأيه أن الملك الحقيقي ليس له حرس. الجبان هو الذي يخرج مع حرس وحاشية، الملك الحقيقي حاشيته الهيبة، وحرسه الجلالة. ومشى على سجادة حمراء، فوجد رائحة بوله في كل مكان، ولاحظ أن الغابة قد فسد ماؤها ومرعاها، فحزن كثيرًا، وغار على وطنه. وسأل الحيوانات عمن ارتكب هذه الجريمة، فأبرزوا له مرسومًا ملكيًا موقعًا منه بإجازة الجريمة، ووجد كلابًا برّية ودّنانًا وضباعًا وغربانًا تصطاد الحيوانات الهاربة من الغابة بتهمة خيانة الوطن.

كاريكاتير عماد حجاج

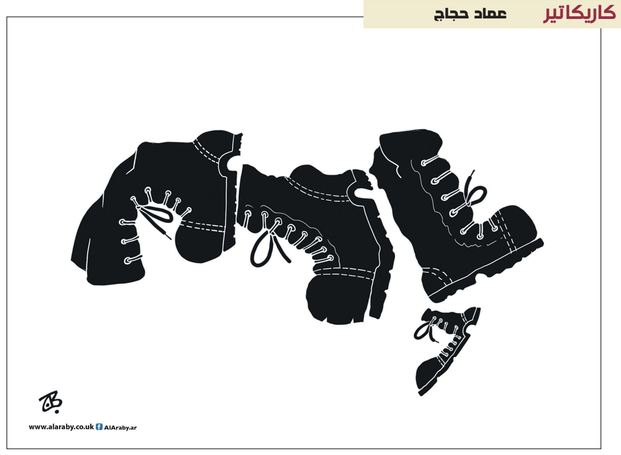

القوة الناعمة «المتوحّشة» للنظام العربي

حلمي الاسمر

لا تحكم الأنظمة العربية الشعب فقط بالقوة الأمنية الخشنة، والقوانين القمعية، ومصادرة الحريات، والتحكّم بمصدر الرزق، وتقديم أصحاب الحظوة لتقلد المناصب، واضطهاد من يسوقهم «العامة» أداة الحكم الأكثر فاعلية في إخضاع الشعوب العربية، وحقنها بمخدّرات الاستسلام وانتظار ما لا يأتي، هي النخب التي تحتضنها الأنظمة، وتعتاش في حاضنتها.

النخب العربية المتصدّرة مجالس الحديث والتأثير، في الإعلام والثقافة والأدب وحتى الفن، هي القوة الناعمة التي تستعملها الأنظمة لإحكام قبضتها على الشعوب، فهي التي «تبيع» للناس منتجات الطبقة الحاكمة و«منجزاتها» باعتبارها صالحة للاستهلاك البشري، وهي في الحقيقة مجرّد «دفايات» لا تصلح للاستهلاك الحيواني، شأن شركات المأكولات السريعة وال «جنك فود» التي تُزيّن منتجاتها للأجيال الصاعدة المفتونة بها، وهي في حقيقتها من سقط الطعام؛ غير متوازنة، غنية بالكولسترول والدهون المشبعة، وبهذا المعنى، هي سموم حقيقية متنكّرة في ثوب غذائي، وهذا هو بالضبط ما تبيعه النخب للجمهور العربي البائس.

النخب العربية المتنفذة، التي تدللها الأنظمة وتحملها «على كفوف الراحة»، فتنقلها من منصب إلى آخر، وتُغدق عليها المال بلا حساب، سواء عبر تكليف كتاب روائب أو أعطيات أو هبات وحوافز وتسهيلات، هي القوة الناعمة المتوحّشة التي تفتك بالعقل الجمعي العربي، وتعمل بمثابة الخنجر المسموم الذي يعطّل الوعي، ويشوّه العقول، ويزيّن له تلك المسوخ التي تتحكّم بمصائرها، وتصوّرها باعتبارها المهدي المنتظر الذي سيخلصها من شرور المسيح الدجال. نظرة سريعة على الدور القذر التي قامت به تلك النخب البائسة في تشويه «الآخر»، وقلب الحقائق، وبيع الوهم، وتسويق بضائع الأنظمة الفاسدة، تجعلك تدرك أنها الرديف الناعم والخطير لقبضة الأنظمة الحديدية، بل فاعليتها أكثر خطورةً من تلك القبضة التي تهدف إلى البطش بالجسد، لأن تلك القوة الناعمة المتوحشة تبطش بالروح، وتُفسد العقل والوعي، وتشوّه الوجدان، والأمثلة هنا أكثر من أن تُحصى، لتلك المعارك التي خاضتها تلك القوى على جبهة الوعي الجمعي العربي، ومنها على سبيل المثال: أولا، تشويه المعارضة وشيطنتها، أي معارضة، حتى ولو كانت وطنيةً وراشدة. تصوّرها فئة خارجة عن «الإجماع الوطني» غير الموجود أصلا، ومهمتها الأساسية «تخريب» الجبهة الداخلية، وأصغر التهم التي تكال لها أنها "مرتبطة بالخارج"، وهي تهمة جاهزة لإضفاء صفة الخيانة عليها فيما بعد، حتى إذا انشبت السلطة أظافرها فيها، بزرت تلك النخب هذه الخطوة بأنها جاءت «دفاعا عن الوطن» ووحدته وأمنه، وتخليصا له تعمل في حقل حقوق الإنسان، ومنظمات المجتمع المدني، فهي، إن سُمح لها أن تكون منفذاً بالنزاهة والحيادية التي تمتّع بها الناخبون والمترشّحون، وكلا الجانبين خضعا لعمليات تشويهٍ معقدة، كي تأتي النتائج على المقاس المريح للأنظمة. ثالثا، أما تلك المجموعات التي تعمل في حقل الإنسان، ومنظمات المجتمع المدني، فهي، إن سُمح لها أن تكون مستقلة بالنزاهة والحيادية، مجرّد مجموعات للجواسيس المرتبطين بالخارج، يعملون على إرسال تقارير إلى العالم «تفضح الوطن»، ويتاجرون به سعيا وراء الشهرة والمال، وهي صورة تبرع في بيعها وتسويقها حرجا، وهي محقة لم ينلها أي عاقل في الأرض. أما الانتخابات فحكاية أخرى، فهي، في بعض الأصقاع، حلمٌ بعيد المنال، ولا تخطر ببال الشعب، حيث تُحرم تلك النخب من مجرّد ذكرها. وفي البلاد التي تجريها بين حين وآخر، تتوفق نسخةٌ ممسوخة تجعل منها مهزلة بالتزوير والعبث، لتأتي تلك النخب متغنية بالنزاهة والحيادية التي تمتّع بها الناخبون والمترشّحون، وكلا الجانبين خضعا لعمليات تشويهٍ معقدة، كي تأتي النتائج على المقاس المريح للأنظمة. ثالثا، أما تلك المجموعات التي تعمل في حقل حقوق الإنسان، ومنظمات المجتمع المدني، فهي، إن سُمح لها أن تكون مستقلة بالنزاهة والحيادية، مجرّد مجموعات للجواسيس المرتبطين بالخارج، يعملون على إرسال تقارير إلى العالم «تفضح الوطن»، ويتاجرون به سعيا وراء الشهرة والمال، وهي صورة تبرع في بيعها وتسويقها حرجا، وهي محقة لم ينلها أي قائد فلسطيني قبله أو بعده.

جزء أساسي من حالة العجز السياسي الوطني الفلسطيني العام على مستوى النخبة الفلسطينية، بكل قطاعاتها السياسية والثقافية والاجتماعية، بل والنسوية أيضا، وانسداد الأفق نحو التغيير، هو عجز الفلسطينيين والفلسطينيات عن تأطير قيادة فلسطينية لا تحاول فقط احتكار السلطة بشخصها منفردة وتحيك المؤامرات وتمارس المحسوبية أو الشعبوية الرخيصة، بل أيضا تنتهك أبسط قواعد القيادة، الإصغاء، فالسعي نحو الزعامة ظاهرة مرضية في الراهن الفلسطيني، تسيطر على المشهد النضالي وملتقيات ونواد ومؤسسات مدنية فلسطينية، وتعرقل نشوء قيادات وطنية جديدة تقود النضال الوطني ضمن رؤية جديدة للنضال. إذ ما تزال العقلية الذكورية والقبلية التي أنتجت «مجتمع الأبوات» تعشّش في الخلفية الذهنية للنخب الفاعلة، حتى «ديمقراطية التوجه» وأكثرها تقدّمية، وتستيقظ تلك العقلية عند محكّ الممارسة، فتدفع أفرادا من هذه النخب إلى سلوكيات التفرّد، بعيدا عن الممارسات الديمقراطية وثقافة قبول الاختلاف ضمن النسق النضالي العام. وهذا ما يفسّر استمرار ظاهرة الانقسام، بل وتمدّدها إلى فلسطينيي 1948. ولعل الانشقاقات التي حصلت في القوائم الانتخابية لدورة الكنيست أخيرا أبلغ مثال على تكرار الفلسطينيين للخسارة المتأتية من تغليب الأنانية السياسية الحزبية والفردية على المصالح العليا للشعب الفلسطيني. مع ذلك، لا يفقد هذا الشعب مناضلين ومناضلات ذوي كفاءة نضالية عالية وشجاعة منقطعة النظير ومهارات سياسية ومعرفية رفيعة المستوى تؤهلهم/ن للعب أدوار قيادية مستدامة. لكن عقلية التفرد ومرض الزعامة يحولان دون هذا. وطالما بقي مفهوم القيادة ينطوي على صورة الزعيم الفرد الذي يحوز دائرة الضوء بمفرده أو يسعى إلى أن يفعل، فإن إشكالية أزمة القيادة الفلسطينية الرشيدة ستستمر بأن تكون معضلة يصعب حلها.

الفشل في تأطير الانتفاضتين، الأولى والثانية، والهبّات الوطنية الفلسطينية المتكرّرة، أيا تكن تسميتها، ضمن أطر تنظيمية وجبهوية وطنية عريضة وديمقراطية، هو فشل في إفراز قيادات شبابية ونسوية جديدة، بالأساس، تقوم بهذه المهمة. وعلى الرغم من تنامي الوحدة الوطنية الاستثنائية في الهبة الوطنية الشاملة في الداخل والشتات أخيرا، فإن أزمة إيجاد قيادة بديلة تمتلك روح الإرادة، التي كانت للزعيم الراحل، تبدو عصيةً على الحل، فالنضال المتواصل طويل الأمد يحتاج صناعة قيادات جديدة من لدن هذه الهبات، وبعيدا عن الفردية والتفرّد. وأقرب إلى عمل الفريق القيادي المتناسق، حتى بحده الأدنى الذي عمل عليه عرفات ورفاقه منذ الخمسينيات، كخليل الوزير وفاروق القدومي وصلاح خلف وغيرهم. حل إشكالية أزمة القيادة أو الفريق القيادي البديل كفيل ببلورة العمل النضالي ضمن مؤسسات وطنية فاعلة، تشمل قطاعات متنوعة، هي أقرب إلى مأسسة دولة فلسطين تحت شعار الوحدة الوطنية، بوصفها ثابتا يحظى بأولوية النضال الفلسطيني عند القادة الجدد، فالإخلاص والتضحيات الجسام لا تعفي النخب الفلسطينية الفاعلة على أرض النضال اليومي أو في مراكز البحث والجامعات من مهمة صناعة القادة العظام وتمهيد الطريق لهم/ن ضمن خطة واضحة ومدروسة لبناء القادة المستقبليين من الجنسين.

إقدام إسرائيل المتكرّر على استهداف قيادات الصف الأول والصفوف التالية بالاغتيال أو الأسر دليل على أهمية القادة في مجريات الصراع، وتأكيد على الدور الحاسم الذي يمكن لهم/ن أن يلعبوه. فعلى الرغم من هذا الاستهداف الإسرائيلي المستمر، لم تكبح الرغبة المرضية في الزعامة الفردية النشطاء ورفاق النضال من العمل على احتكار الأضواء. بل باتت هذه السمة مسعىً ضمنيا سرعان ما ينجرف إليه أفضل المناضلين. إذ بنظرة سريعة إلى تجارب الأحزاب أو المجموعات السياسية الناشئة أو حتى المنتديات والملتقيات الثقافية والوطنية عموما، يمكن ببساطة رصد سلوكيات التفرّد ومحاولات كسب الشهرة الفردية لتسيّد هذه المجموعات والأحزاب، بل وربما مؤسسات المجتمع المدني أيضا. وليس الحديث هنا فقط عن حركة فتح أو حماس، فعنهما حدّث ولا حرج، ولا الأحزاب الفلسطينية السياسية داخل الأراضي المحتلة في 1948، أو في بلدان اللجوء والشتات، بل أيضا عن منتديات وملتقيات تتنامس من اكاديميين وإعلاميين وأدباء وباحثين، رجال بالغالب ونساء بدرجة أقل، يبرعون بتوجيه «انتقادات محقّة للتجربة الوطنية الفلسطينية الحديثة (بعد انطلاقة الثورة عام 1965)، بل وقيادات تلك التجربة» وفي مقدمتهم ياسر عرفات، لنجدهم/ن بعد حين، ومنذ بدايات تأسيس منتدياتهم وملتقياتهم أو مجموعاتهم، يسيرون على نهج ما ينتقدونه، بل ربما أسوأ. إذ سرعان ما تبرز سلوكيات التفرّد والسعي إلى تزعم ذاك المنتدى أو الملتقى أيضا.. وهم/ن بالكاد «بالقصر من مبارح العصر».

(كاتبة وإعلامية فلسطينية)

في ذكرى عرفات... أزمة قيادة فلسطينية مستمرة

سامية عيسى

تأتي الذكرى السابعة عشرة لاستشهاد الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات (11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2004) في ظروف فلسطينية سلبية للغاية، تفتقر لقيادة بمستوى ما كانه أبو عمار، بغض النظر عن الاختلاف أو الاتفاق معه في بعض ممارساته أو في محطات سياسية عديدة، فقد ظل أمينا للثوابت الفلسطينية الوطنية، وفي مقدمتها حق العودة لفلسطينيي 1948 والقدس الموحدة عاصمة لدولة فلسطين، وحافظ بعناد على استقلالية القرار الفلسطيني بحنكة وصلابة لم تثنياه عن مواجهة مؤامرات التصفية ضد المقاومة، التي شنتها بعض الأنظمة العربية، كالأردن في ما سميت أحداث «أيلول الأسود»، أو التي حاولت مصادرة القرار الفلسطيني، وفي مقدمها النظام السوري في عهد الرئيس حافظ الأسد وحروبه المتعاقبة مع الفلسطينيين في بيروت وبحمدون وجبل صنين في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، ثم معارك البقاع وطرابلس التي أعقبت خروج الفلسطينيين من بيروت بعد الاجتياح الإسرائيلي عام 1982، ثم حصار المخيمات (أواخر الثمانينيات) قرابة ثلاث سنوات.

جاء اغتيال عرفات إثر حصار طويل لمركز الرئاسة الفلسطينية في رام الله، قام به جيش الاحتلال عدة أشهر أدّى إلى تدهور صحته، ونُقل على أثره إلى مستشفى عسكري فرنسي، حيث وافته المنية هناك. وبعد سنتين من وفاته، طالبت أرملته سها عرفات بفحص رفاته، نتيجة شكوك فلسطينية وعربية قوية بأنه قضى اغتيالا. وتبين في تحاليل أجراها معهد سويسري للتحاليل الإشعاعية على عينات من رفاته وجود كميات من البولونيوم المشع، رجّحت تقديرات أنها السبب في وفاته مسموما.

في ذكرى رحيل الرمز والأيقونة لملايين الفلسطينيين والفلسطينيات في الداخل وبلدان اللجوء والشتات، تفتقد الساحة الفلسطينية في أزماتها الراهنة قيادات معارضة، حتى ولو كانت وطنيةً وراشدة. تصوّرها فئة خارجة عن «

أبو الأعلى المودودي وإريك زيمور

كمال عبد اللطيف

يتوخّى عنوان المقالة الإشارة إلى تشابه الفكر المتطرّف، بغض النظر عن المسافات الزمنية والسياقات السياسية والتاريخية، المتصلة بمن تشير إليهما، وكذا صور التقابل والتضاد القائمة أو الممكنة بينهما، حيث ينتمي أبو الأعلى المودودي (1903 - 1979) إلى الأقلية المسلمة التي شاركت، سنة 1947، في الدعوة إلى استقلال باكستان عن الهند، وقد اشتهر بوصفه مؤسسا سنة 1941 لما تعرف بالجماعة الإسلامية في بلاد الهند. كما تُرجمت أعماله إلى اللغة العربية، وأشهرها «نحن والحضارة الغربية». أما أريك زيمور الصحافي الفرنسي (62 سنة)، فقد صدرت له مجموعة من المؤلفات أبرزها، «الاكتئاب الفرنسي» 2010، «المصير الفرنسي» 2014، «الانتحار الفرنسي» 2014، و«لم تقل فرنسا بعد كلمتها الأخيرة» 2021. وقد أثار أخيرا ضجّة إعلامية كبيرة بمناسبة انخراطه في السجالات السياسية، الممهدة للانتخابات الرئاسية الفرنسية المرتقبة في شهر إبريل/ نيسان 2022. .. لكن لماذا نستحضر اسمه بجوار اسم أحد شيوخ الجماعة الإسلامية في الهند، وباعتباره أيضاً أحد رموز السلفية الجديدة في العالم الإسلامي؟

لا نستطيع الادعاء بأن إريك زيمور يعرف الجماعة الإسلامية في الهند، رغم معرفته ببعض التنظيمات الجهادية وتنظيمات الإسلام السياسي، بحكم عمله الصحافي، إلا أن الاطّلاع على بعض أعمال ومواقف كل منهما يظهر لنا التشابه القائم بين الروح الناظمة لمواقف كل منهما، في السياسة وفي التاريخ وفي تاريخ الصراع بين أوروبا ومستعمراتها في أفريقيا وآسيا. ما يجمعهما منظومة الفكر المتطرّف الذي ساهم ويساهم كل منهما في نشره. ففي كتابه «نحن والحضارة الغربية»، يؤسس المودودي للتقابل الصراعي الحادّ بين الإسلام والغرب، التقابل القائم على رفض كل منهما الآخر، في سياق رفضه التفرنج والهيمنة الغربية، حيث يشير إلى العِلَل والأمراض المرتبطة بعلوم الغرب وتقنياته، ويعتبر أن الكشوف الطبية، مثل الإجهاض وتحديد النسل، ستؤدّي إلى انتحاره ونهايته، وذلك بتناقص ذريته وعدده. ومقابل ذلك، يدعو المسلمين إلى مزيد من التوالد والتناسل لملء الفضاءات والأمكنة وتعمير الأرض، فالمستقبل للإسلام والمسلمين.. ولا يتردّد الصحافي الفرنسي في الدعوة إلى سَنّ قوانين توقف مسلسل الهجرة، لكي لا يعرف المجتمع الفرنسي وتعرف أوروبا ما يسميه التحول الكبير.

انخرط زيمور في عمليات التمهيد لرئاسيات 2022 في فرنسا، وذلك بتقديم كتابه الجديد «لم تقل فرنسا بعد كلمتها الأخيرة»، وتحوّل إلى آلة إعلامية متحرّكة، على الرغم من أن خياراته السياسية تعتمد المواقف المعروفة منذ عقود داخل دوائر اليمين الفرنسي المتطرّف (الجبهة الوطنية). يُخيف الفرنسيين من مهاجري أقطار المغرب العربي من الإسلام والمسلمين، ويوضح مواقفه الرافضة خيارات الاتحاد الأوروبي. يتحدّث في كتابه «الانتحار الفرنسي» عن الانهيار الحاصل اليوم في فرنسا أمام تصاعد المد الإسلامي، ويطالب في استجواب له أنجز بمناسبة كتابه المذكور، بترحيل خمسة ملايين مسلم من فرنسا!

لا يتردد زيمور في إعلان مواقفه العنصرية من المسلمين والأفارقة، ولا يتردّد في رفض المكاسب الثقافية والاجتماعية، التي تحققت خلال عقود النصف الثاني من القرن الماضي، ويعلن أن المد الإسلامي المتصاعد ديمغرافياً في فرنسا أصاب الفرنسيين بالاكتئاب، وسيؤدّي قريباً إلى الأفول الفرنسي. إنه يكرّر خطاباً محتوى رواية خضوع للكاتب والروائي ميشيل ويلبيك الذي تخيَّل أن فرنسا سيترأسها مسلم سنة 2022، حيث سيعمل على نشر شرائع الإسلام في فرنسا!

تلتقي هذه المواقف بكثير من التصورات المتداولة في بعض التنظيمات والأحزاب السياسية اليمينية في أوروبا، وهي تساهم في تعزيز خطاب الكراهية ضد الإسلام وضد الهجرة والمهاجرين. وقد فرض إريك زيمور، وهو ينخرط في النقاش السياسي العام المرتبط بالرئاسيات الفرنسية، موضوع الهجرة والمهاجرين. يتحدّث عن الأفول الفرنسي القريب، حيث لم يستطع المهاجرون من بلدان المغرب تمثل الثقافة الأوروبية والاندماج في مجتمعاتها. ويتصوَّر أن انتشار المساجد في المدن الفرنسية وبروز ردود الفعل الإرهابية في عديد منها يؤشّران على ما يمكن النظر إليه باعتباره من علامات أسلمة المجتمع الفرنسي والأوروبي.

يفكّر إريك زيمور بمنطق النقاء العرقي والوطنية العنصرية، يستعيد بعض المواقف النازية، يردّد الدعاوى الإسرائيلية في فلسطين المحتلة، ويدعو إلى طرد

> يتحدّث كل من المودودي وزيمور بقطعية مطلقة، من دونً أن يلتفت إلى تحولات التاريخ والثقافة في عالم سائل ومتحوِّل باستمرار

الأجانب وإغلاق الحدود بعد أن فُتِحَت أرضاً وسماءً وفضاءات افتراضية. ويشير إلى ما يسمّيه تأنيث المجتمع حيث تقلّصت درجات الفحولة وانتشرت عادات الأنوثة في المجتمع، الأمر الذي يُبرز نظرته الدونية للمرأة. وتتميز خطاباته بكثير من الاندفاع والادّعاء والعدوانية، على الرغم من أن خطاباته الصحافية ومواقفه السياسية لا تخرج في روحها العامة عن مناهضته المتواصلة لقيم التاريخ والتقدم، قيم الديمقراطية والتعدُّد.. ولا تتجاوز، في نهاية التحليل، الدعاوى التي نادى بها اليمين المتطرّف في فرنسا منذ عقود.

يستمد الصحافي المحافظ مرجعيته في النظر إلى واقع فرنسا وتاريخها من مُنظِّري اليمين الفرنسي، من مؤرّخي نهاية القرن الثامن عشر، موريس باراس وشارل موراس وجاك بانفيل، ففي أعمال هؤلاء المؤرخين عثر على عديدٍ من المفردات التي استخدم في كتابه الأخير، من قَبيل فرنسا الخالدة، فرنسا البيضاء الكاثوليكية. وفي أعمالهم وجد مفهوم الوطنية التامة، الذي يرادفه في كتاباته بمبدأ الاستيعاب الكلي للثقافة والتاريخ الفرنسي. كما عثر على مبدأ التمثل الكلي باعتباره الطريق المؤدّي إلى الاندماج التام للمهاجرين، الطريق القادر على التخلص من الترسبات الذهنية والسلوكية العميقة، الحاضرة في ثقافتهم وسلوكهم، متصوّراً أن الاندماج الكلي يسمح بتشكيل رقابةٍ ذاتية تُخلِّصهم من كل الرموز التي تملأ لغتهم وأسماءهم وعاداتهم. ومن هنا، دعوته إلى ضرورة إعلان حرب الديانات، ومطالبته بتغيير الأسماء الشخصية ذات الشحنة الدلالية المرتبطة بثقافة وتاريخ الإسلام.

يتحدّث كل منهما بقطعيةٍ مطلقة، من دون أن يلتفت إلى تحولات التاريخ والثقافة في عالم سائل ومتحوِّل باستمرار، يمتلكان تصوّراً واحداً للتاريخ والهوية، ولا يلتفت أيٌّ منهما إلى أفعال المثاقفة والشروخ التي رسمتها وتواصل رسمها في التاريخ، كما أنهما لا يعيران أدنى اهتمام لمكاسب الحداثة والتنوع في الفكر وفي التاريخ. يتغنّى كل منهما بنقاء أصوله وعقيدته، ويرتّب كل منهما أحلامه في عالم أكثر تعقيداً من كل ما انتظم في تصوُّراتهما من أفكار ومخطّطات.

(كاتب وأكاديمي مغربي)

ليبيا والعبور نحو الاستحقاق الانتخابي

بشار نرش

مع إعلان المفوضية العليا للانتخابات الليبية فتح باب الترشح للانتخابات العامة المقرّرة في 24 ديسمبر/ كانون الأول المقبل، ما زالت الشكوك تحيط بإمكانية إجراء هذه الانتخابات بموعدها المحدّد في ظل الانسداد السياسي الواضح الذي تشهده الساحة السياسية الليبية بشأن القاعدة الدستورية والقوانين الناظمة لهذه الانتخابات، إلى جانب حالة الاستقطاب بين شرق ليبيا وغربها، وانقسام المجتمع الدولي الذي يحاول إدارة الأزمة من دون حلها بسبب اختلاف المصالح وتضاربها ومحاولة بعض الأطراف الاستثمار في استمرار الأزمة بغرض تحقيق المكاسب.

يقف المتابع للحراك العام المتعلّق بإجراء الانتخابات الليبية على مسألتين جوهريتين: أنّ الخلاف حول هذه الانتخابات ما زال حاداً وعميقاً. وللغموض الكبير الذي يكتنفها، لذلك تسود تساؤلات داخلية وخارجية كثيرة بشأن إمكانية إنجاز هذه الانتخابات في موعدها المحدّد من دون تهديد بالطعن أو الإلغاء والتأجيل، في ظل عاملين حاسمين يؤثران بشكلٍ مباشر في هذا الأمر، على الرغم من الجهود الإقليمية والدولية التي دفعت وما زالت تدفع نحو إنجاز الانتخابات.

يتعلّق العامل الأول بإصرار مجلس النواب الليبي على إجراء الانتخابات وفقاً لقوانين الانتخابات التي أقرّها، بعيداً عن اعتراضات كثيرة واجهت هذه القوانين، وخصوصاً من المجلس الأعلى للدولة (نيابي استشاري)، الذي يطعن بهذه القوانين لأسباب كثيرة، أهمها أنّه لم تتم استشارته فيها في مخالفةٍ صريحةٍ للاتفاق السياسي والإعلان الدستوري، إلى جانب عدم حصول جلسة تصويت البرلمان على قانوني الانتخابات على النصاب القانوني، ناهيك عن عدم الاتفاق على القاعدة الدستورية التي ستجري عليها الانتخابات، والمسؤولة عن تحديد طبيعة النظام السياسي الليبي (برلماني أو رئاسي أو مختلط).

يؤشّر هذا العامل، في ما يتعلق بالانتخابات الليبية، إلى احتمالين: الأول، فرض الأمر الواقع وإجراء انتخابات معيبة ومطعون فيها تشبه تلك التي نُظّمت في عام 2014، والتي لم تتجاوز نسبة المشاركة فيها 18% من الناخبين المسجلين، وهو ما يضع الانتخابات تحت خطر عدم الفاعلية والإنجاز من ناحية أن إجراء الانتخابات، بهذه الصورة الخالية من الحد الأدنى من التوافق والمشاركة الشعبية، لن يكون كفيلاً بحل الأزمة، بل على العكس سيزيد من تأزيمها، وبذلك ستكون الانتخابات باباً جديداً للخلافات، بدل أن تكون حلاً لخلافات مزمنة، الأمر الذي يعني العودة إلى نقطة الصفر، ودخول البلاد في دوامة سياسية أعنف من تلك التي حصلت عام 2014، وتتكرّر معها الأزمات السياسية والدستورية. وبالتالي، لن تكون القضية هنا إجراء الانتخابات، بقدر ما تكون ضمان احترام جميع الأطراف النتيجة، وهذه المسألة غير مؤكّدة في الواقع الليبي.

الاحتمال الثاني طعن المجلس الأعلى للدولة، ومعه المجلس الرئاسي والحكومة، بهذه القوانين، الأمر الذي يعني تأجيل الانتخابات إلى حين البتّ بالطعون. وفي هذا الحال، سيحاول الأطراف في الشرق الليبي وضع خصومهم السياسيين في المنطقة الغربية في زاوية ضيقة، وإظهارهم للرأي العام المحلي والدولي أنهم يعارضون الانتخابات، ويعرقلون إجراءها وتحميلهم المسؤولية في محاولةٍ لوضعهم تحت طائلة العقوبات الدولية، خصوصاً أنّ مجلس النواب الأميركي قد صادق على قانون «استقرار ليبيا»، والذي يتضمن فرض عقوباتٍ على الأشخاص والكيانات التي

> يواجه العبور نحو إنجاز الاستحقاق الانتخابي الليبي تهديدات كثيرة بالطعن أو الإلغاء والتأجيل

تعرقل الانتخابات أو تزعزع الأمن في البلاد. وفي ما يتعلّق بأهداف رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، ومن خلفه اللواء المتقاعد خليفة حفتر، على اعتماد هذين القانونين لإنجاز الاستحقاق الانتخابي، وخصوصا في ما يتعلّق بتأجيل الانتخابات البرلمانية شهراً بعد اعتماد نتائج الانتخابات الرئاسية، فيمكن إجمالها بهدفين: جعل الانتخابات البرلمانية رهينة في يد عقيلة صالح وخليفة حفتر، لإجبار الأطراف الرافضة لقانون الانتخابات الرئاسية على عدم الطعن في قانونيته أو دستوريته، وإلا لن يتم تنظيم الانتخابات البرلمانية. تمديد عمل البرلمان الحالي الذي يرأسه عقيلة صالح أطول مدّة ممكنة، خصوصا في ظل توقعات صعوبة حصول أي مرشح رئاسي على 50% زائد 1 من الأصوات في الجولة الأولى للانتخابات الرئاسية، الأمر الذي يعني الذهاب إلى جولةٍ ثانية، يشارك فيها المرشّحان الحاصلان على أكثر الأصوات، وما قد يرافق ذلك من طعونٍ قد تؤخّر اعتماد نتائج الانتخابات الرئاسية، الأمر الذي سيؤجّل تنظيم الانتخابات البرلمانية بدل الشهر أشهراً، وبذلك يضمن عقيلة صالح بقاءه على رأس السلطة التشريعية أشهراً أخرى.

يرتبط العامل الثاني بالتهديد الفعلي والاعتراف بالرغبة في تشكيل حكومة موازية في الشرق من نائب رئيس حكومة الوحدة الوطنية حسين القطراني، والتهديد بإيقاف تصدير النفط الليبي مجدّداً، في محاولةٍ لإرباك المشهد الليبي، وإعادة الانقسام لتعطيل الانتخابات، بعد فشل المحاولة الأولى التي أعقبت سحب البرلمان الثقة من حكومة الدبيبة.

(كاتب سوري)

خريطة طريق للذاهبين إلى دمشق

غازي دحمان

بدأ قطار التطبيع العربي مع نظام الأسد السير بتسارع ملحوظ، والتقديرات أن المرحلة المقبلة ستشهد مزيداً من التحرّكات في هذا المسار، والذريعة العربية، المرفوعة هنا، ليس حبّاً ببشار الأسد، بل لتدعيم ركائز النظام العربي في مواجهة محاولات اختراقه من دول الجوار، مع أن هذا النظام معطّل منذ تم إنشاؤه، والغريب أن محاولات تفعيله سيكون وقودها دماء السوريين التي هُدرت أو ستهدر لاحقاً.

لا يستطيع أحد منع أي طرف يريد استعادة تواصله مع نظام الأسد، فالعلاقة بين الوحدات السياسية غالباً ما تكون محكومةً بتقديرات صناع القرار لمصالح بلادهم، والفرص التي من الممكن الحصول عليها من إعادة العلاقات والمخاطر المترتبة على إبقاء العلاقات مقطوعة، وهذه في الغالب يتم تقديرها حسب زاوية النظر التي تتم من خلالها رؤية القضية التي على أساسها يتم حساب الأرباح والخسائر في هذه العملية.

ولأن الموضوع خارج قدرات الآخرين، ومنهم الشعب السوري، في التأثير على قرارات أولئك الذين حزموا أمرهم على زيارة دمشق، لن يسع السوريين سوى تقديم استشارة، قد لا تكون ضرورية، ولكنها فقط للتذكير، المقصود منها تقديم خريطة طريق للذاهبين إلى دمشق، علّها تجنبهم صدمة ما قد يواجهونه في دمشق.

أولاً: لا تستغربوا أنكم لن تجدوا أثرا لرائحة الياسمين في دمشق، فكل ياسمين دمشق جرى قطعه، لوضعه على قبور الذين قتلتهم عصابة الأسد، لذا ستشمّون رائحة الدم في كل زاوية وركن فلا تتفاجأوا.

ثانيا: لن تجدوا صدى لأشعار نزار قباني، فالعصابة تمنع هذا النوع من الكلام من التداول، لأنه قد يزيد من شجن الناس وغضبهم على دمشق المغدورة التي بدّلت الياسمين باللطميات والسواد في شوارعها وباتت إحدى علاماتها المميزة.

ثالثاً: ستقابلون هناك أعداء دمشق، أولئك الذين لديهم خيار دائم يتمثل في تدميرها إذا شعروا بأن السلطة ستخرج من أيديهم. هذا أسهل الخيارات، على مدار خمسة عقود من الحكم، لم يجهزوا سوى هذا الخيار، صنعوا له هياكل وأطرا، معسكراتٍ تزنر دمشق، دباباتٍ وطائرات جاهزة لتنفيذ هذا الخيار، وجيوشاً تتكوّن من الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة والأجهزة الأمنية العديدة، وجلبوا مليشيات إيران احتياطا كي تساعدهم على إنجاز هذه المهمة على أكمل وجه.

رابعاً: اعلموا أن سورية فقدت نصف سكانها بين قتيل ومخفي وهارب إلى اللجوء، والنصف الآخر يحلم بالرحيل غداً، بل يعيش النصف الآخر بلا روح، بعدما داستها العصابة ومزّقتها، رعباً تارّة، وإذلالاً دائماً جرياً وراء لقمة الخبز.

خامساً: ثمّة مناطق وشوارع لا ننصحكم بالمرور بها، وهي في الغالب غالبية شوارع المدينة، حيث تنتشر أجهزة أمن العصابة، فهناك ما زالت السوريات يغتصبن، ولا يحبذ أن تصل صرخات ألمهن إلى مسامعكم، حتى لا يقال، «لا سمح الله»، إنكم شركاء في هذه الجريمة القذرة. وهناك أيضا يجري في كل ساعة قتل سجين وربما أكثر، ويجري أيضاً تشليح عائلاتٍ باعت أرزاقها لتخليص أبنائها الذين اعتقلتهم أجهزة العصابة، لا لذنب ارتكبوه، فقط ليدفع أهلهم الفدية لإخراجهم.

سادساً: بقدر ما سيشعر زعيم العصابة هناك بالفخر، لأنه استطاع إخضاعكم وجلبكم إلى دمشق، سيشعر ملايين السوريين، في دمشق وغيرها، بالحزن. سيقولون إنه لولا ضغط أميركا لتقاطر العرب بالدور على أبواب قصر رئيس العصابة فوق جبل قاسيون. سيتساءلون: هل نهر الدماء الذي سال من أجساد أبنائنا غير كافٍ لإقناع العرب بنبذ الأزعر؟

> اعلموا، أيها الذاهبون إلى دمشق، أن زعيم العصابة هناك لن يراكم سوى أكياس أموال متحرّكة

سابعاً: لا تستغربوا، غداً أو بعده، ستخرج منابر إيران الناطقة بالعربية في بيروت، بعناوين من نوع «المهرولون إلى دمشق»، وستفيض المتون بلغة الشماتة والفخر بالنصر المتحقّق عليكم، وستنضم لهم جوقة صحافيي إيران في عمّان ورام الله، سيصفونكم بـ«المهزومين» الذين جاؤوا يسترضون زعيم العصابة في دمشق، وسيقولون إن «سورية الأسد» لا تذهب إلى الآخرين، عليهم أن يأتوا إلى دمشق لإبداء الأسف راكعين.

هل معهم حقٌ في ذلك؟ لا نستطيع مجادلتهم، أنتم قلتم إنكم تريدون هزيمة إيران في سورية والانتصار للشعب السوري، وقلتم أيضاً إن على العالم أن يتحرّك لوقف المذبحة الجارية أمام أنظاره، فما الذي تغيّر اليوم؟ لا المذبحة توقفت، فقط هي تجري بالخفاء وبعيداً عن أعين الكاميرات، ولا نفوذ إيران سيتراجع بعودتكم لنظام الأسد، ولن يتراجع ما لم تتم إزالة الأسد وعصابته.

ثامناً: اعلموا، أيها الذاهبون إلى دمشق، أن زعيم العصابة هناك لن يراكم سوى أكياس أموال متحرّكة، وتذكّروا أن ما قاله إعلامه في أثناء مقاطعتكم له، من وصفكم بالعربان وأنصاف الرجال وشاربي البول، لم يكن نتيجة نزق، بل كان يقول ما تؤمن به هذه العصابة وكيف تنظر لكم، دعكم مما سيقوله لكم في أثناء الاجتماع عن الأخوة العربية وضرورة توحيد الصف العربي، حيث سيضحك كثيراً، هو ومستشاروه، بعد مغادرتكم الاجتماع، على هذه الفانتازيا التي صدرت منه، وسيزيد في الضحك كيف اقتنعتم ببساطة بهذه الفانتازيا.

(كاتب فلسطيني)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads